مكة حرسها الله تعالى/١٤٤٤هـ

سلسلة الرسائل (٣٠)

رعاية المرأة الصالحة لأولادها

للشيخة أم عبد الله بنت الشيخ
مقبل بن هادي الوادعي
حفظها الله تعالى

alwadei967.blogspot.com
telegram.me/alwad3ya

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله ونبيه محمد الأمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

نحمد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي جمع بيننا في هذا المجلس، وأسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجزي خيرًا من كانت السبب في دعوتنا وفي اجتماعنا، وأن يجعل مجالسَنَا ولقاءاتِنا مباركة.

إن نعم الله عَزَّوَجَلَّ علينا كثيرة لا تعد ولا تحصى، وهذه النعم تحتاج منا إلى شكرٍ لله عَزَّوَجَلَّ، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم: ﴿ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٢]. وقال سُبحَانَهُ: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان].

ومن شكر شكر الله له، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ [النساء: ١٤٧]. الجزاء من جنس العمل.

من شكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أكرمه بدوام النِّعَمِ، وزاده من الخيرات والبركات، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٧]. فيجب علينا أن نشكر الله عَزَّوَجَلَّ على نعمه ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[النحل: ٥٣].

وإن من أجلِّ نِعَمِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نعمة الأولاد، كما قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ [النحل: ٧٢].

فالأولاد من أجلِّ نعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علينا، وهكذا أولاد الأولاد من نعم الله؛ فإن الله عَزَّوَجَلَّ يعطينا زيادة على الولد الأصل، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في شأن نبيه إبراهيم: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧٢]. إسحاق ابن نبي الله إبراهيم، وأما يعقوب فهو حفيد أبينا إبراهيم عليهم الصلاة والسلام؛ لأنه ابن إسحاق، يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. فسمّى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولد الولد زيادة.

هذه النعمة الجليلة لم يرزقنا الله عَزَّوَجَلَّ إياها؛ لنتفاخر ونتباهى بها، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

هذه النعمة حذَّرنَا ربُّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الافتتان بها في دينِنَا وعقيدَتِنَا، فقال: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن: ١٥].

هذه النعمة تحتاج إلى رعاية ومحافظة، أشد من المحافظة على المال، وقد استرعانا الله إياها، كما ثبت في «الصحيحين» البخاري (٧١٣٨)، ومسلم (١٨٢٩) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا، وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».

فهذه مسؤولية استرعانا الله عَزَّوَجَلَّ إياها، وهذا يتطلَّب منا أن نحسن رعاية أبنائنا، والهداية بيد الله سُبحَانَهُ، ولكن ببذل الأسباب، وبالدعاء؛ فإن دعاء الوالدين مستجاب وخاصة في أوقات الإجابة، ولهذا النّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يقول: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ» رواه مسلم (٣٠٠٩) عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وهذا من أعظم التربية أن تكون الأم حريصة على الدعاء بالخير والصلاح لولدها، فدعوة الوالدين سعادة، ورحمة بالأولاد، وداخل في تربية الأولاد.

فكلما أقبلتِ على الدعاء فألحِّي في الدعاء على ربِّكِ أن يصلح أولادك وأن يجعلَهُم قرة عين، ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٤].

ذكر الله عَزَّوَجَلَّ قرة أعين في شيئَين: في الأزواج والذُّرِّيَّات.

أي: تقر عينُ الأبَوينِ بالولد؛ لبرِّهِ، لأدبِهِ، لِخِدْمتِهِ لأبوَيه إذا كَبِر، لصلاتِه، وطاعتِهِ لخالِقِه.

وتقر عين الزوج بالزوجة، والزوجة تقر عينُها بزوجها؛ لأنه على طاعة الله، لحسن التفاهم بين الزوجين، وتبادل المودة والاحترام؛ إذ الحياة الزوجية مبنية على المودة والاحترام والتقدير، وعلى حسن التفاهم، لا التنازع والاختلاف والتخاصم، وقد جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَجَمَالٍ، وَإِنَّهَا لَا تَلِدُ،

أَفَأَتَزَوَّجُهَا، قَالَ: «لَا» ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَنَهَاهُ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ»(١).

«الْوَدُودَ» أي: كثيرة المودة لزوجها؛ لأن هذه هي التي تسعد بها الحياة، وتَنْعَمُ بها الحياة؛ فإن المرأة إذا كانت تحب زوجها تطيعه، وتحرص ألَّا تخالفَهُ، تخدمه، تسعد بسعادته، تحرص على كل ما يسعده، حتى إنها تحرص على الإحسان إلى أبويه وأقربائه وقريباتِهِ.

وهذا ممَّا يُسعِدُ الزوج الصالح أن يجد زوجته حفيَّة رحيمة بأبيه وأمه وأقربائه، حتى إن من الأبناء الصالحين من يضطر إلى فراق زوجته، يعالج الأمر يعالج الأمر فلا يجد فائدة، ولا يجد تحسُّنًا، وإنما يجد نفورًا وعِنَادًا، فيضطر إلى مفارقتِهَا؛ من أجل أنها لا تُحسِنُ إلى أمه وأبيه، أما المرأة الصالحة التي تود زوجها فإنها تحرص على أن تلبِّي كُلَّ ما يسعده، وكل ما يحبه، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلنا من الصالحين، اللَّهم ألحقنا بالصالحين.

و«الْوَلُودَ» كثيرة الولادة، فالشرع له مقاصد في كثرة النسل «فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ».

وسبحان الله الأسرة تتوسع قليلًا قليلًا، نسأل الله أن يجعلها كثرة على خير وبركة وسعادة للجميع، تتوسع بالذرية والأحفاد، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلهم مباركين.

وربنا عَزَّوَجَلَّ يقول ممتنًا بكثرة العدد: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ﴾ [الأعراف: ٨٦]. أي: كثّر عددكم بعد أن كنتم قليلًا(٢).

---

(١) رواه أبو داود (٢٠٥٠) عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ.

(٢) ينظر «معاني القرآن»(٢/ ٣٥٥) للزجاج.

فالكثرة من نِعَمِ الله، لكن كثرة على خير، على استقامة، على أُلْفَةٍ لا تناحُر. هذه نعمة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ولهذا ثبت عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّا كُنَّا فِي دَارٍ كَثِيرٌ فِيهَا عَدَدُنَا، وَكَثِيرٌ فِيهَا أَمْوَالُنَا، فَتَحَوَّلْنَا إِلَى دَارٍ أُخْرَى فَقَلَّ فِيهَا عَدَدُنَا، وَقَلَّتْ فِيهَا أَمْوَالُنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذَرُوهَا ذَمِيمَةً»(٣).

يعني: هذا الرجل جاء يشتكي إلى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أنهم كانوا أعدادًا كثيرة، وكانت أرزاقهم كثيرة، ثم تحولوا إلى دارٍ أخرى ففقدوا كثيرًا منهم بالموت، وفقدوا كثيرًا من أموالهم، فقال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «ذَرُوهَا ذَمِيمَةً» أي: اتركوها، تحوَّلوا عنها؛ لأنها مذمومة، فالدار قد تكون شؤمًا-ولا ينبغي أن نتشاءم وندخل على أنفسنا الأوهام والشكوك-، ولكن هذا في الشيء المتيقَّن، ثم هو واقع بتقدير الله.

فالدار قد تكون شؤمًا على أهلها، وكما ثبت عن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي الفَرَسِ، وَالمَرْأَةِ، وَالدَّارِ»(٤).

---

(٣) رواه أبو داود (٣٩٢٤)، ورحم الله والدي وغفر له ذكر هذا الحديث في «الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين» في موضعين:

أحدهما برقم(٢٩٥٧)، وبوب عليه: البعد عما يكون سببًا لنحس المال لا يخل بالعقيدة.

والثاني برقم(٤٥١٤)، وبوب عليه: التشاؤم بالدار التي قد عُلِمَ الشؤم فيها لا ينافي التوحيد.

(٤) رواه البخاري (٢٨٥٨)، ومسلم (٢٢٢٥) عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وسئل الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هناك امرأة من المنطقة الجنوبية لها سبعة أولاد وبنات، وعندما سكنت في منزل جديد لها بالجنوب توفي أحد أولادها وتبعته إحدى البنات، وقد حلمت-رأت في المنام-بعد وفاتهم أنها إذا بقيت في هذا المنزل فسيموت كل أطفالها. أرجو إفادة فضيلتكم علمًا بأنه لا يزال لديها خمسة بنين وبنات.

المرأة قد تكون شؤمًا على زوجها، يعني: شقاوة على زوجها في مكاسبه، في سعادته، في دينه، في خيره، أيضًا في سلاطة لسانها، في سوء خُلقها، هذه امرأة سوء، هذه بلوى على الزوج، فيجب أن تنتبه المرأة ولا تكن امرأة سوء، لا تكن شقيَّةً، يجب أن تكون امرأة صالحة.

ومن المناسب ذِكْرُهُ هنا أن امرأة تزوجت بأكثرَ من رجل، ومَن تزوجتْ به تبقى معه فترة، ثم يموت.

فقُدِّمَ لوالدي استفسار عن هذا في الدرس وأنا أسمع، هل يُتزوج بهذه المرأة والحال هذا؟

حواب والدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن أحبَّ أن يتزوج بها فعل، وإن أحبَّ أن يترك ترك.

والفرس، يعني: المركب، وكما جاء في الحديث الآخر عن سعد بن أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ، وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاوَةِ: الْجَارُ السُّوءُ، وَالْمَرْأَةُ السوء، والمسكن الضيق، والمركب السوء»(٥).

جواب الشيخ ابن باز: إذا كان الواقع هو ما ذكرتم فهي مخيرة، إن شاءت سكنت في هذا البيت وإن شاءت انتقلت عنه إلى بيت آخر؛ لقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الشؤم في ثلاثة: في البيت والمرأة والدابة» وفق الله الجميع.

«مجموع الفتاوى»(٢٨/ ٣٥٧) للشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٥) رواه ابن حبان في «صحيحه»(٤٠٣٢).

فاحذري أن تكوني امرأة شقية على زوجك، على أولادك، على أهلك، على نفسك قبل ذلك، احذري أن تكوني شقية.

احرصي أن تكون سعيدة، وبركة على نفسك، على أولادك، عَلى زوجك، على أقربائك وأهلك، على كل من حولك، كوني صالحة هادية مهدية مباركة ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾[مريم: ٣١].

فالأولاد أختي في الله نعمة عظيمة، ولكن نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقنا حسن رعايتهم، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقنا الرحمة، رحمة مقرونة بحلم وحكمة؛ فإن هناك رحمة مقرونة بطيش وجهل كرحمة الأم الجاهلة كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الرحمة المقرونة بالحلم والحكمة هذه ناجحة، هذه نافعة، وهي التي تكون سعادة للولد، ينشأ على الخير، على حُبِّ القرآن لا الغناء، على الصلاة، المساجد؛ ولهذا نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» (٦).

ومن أين يكون صلاح الولد إلا بتربية أبويه له؟

فما يأتي صلاح الولد إلا بتربية الأبوين غالبًا، كما قال النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»(٧).

---

(٦) رواه مسلم (١٦٣١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

(٧) رواه البخاري (١٣٥٩)، ومسلم (٢٦٥٨) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» هذا يدل على حسن تربية الولد؛ لأن الولد الصالح هو الذي يدعو لأبويه، هو الذي يُبر أبويه، هو الذي يجاهد في طاعة أبويه؛ لأن بر الوالدين جهاد، كما قال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»(٨).

ولا يجوز لنا أخواتي في الله أن نتساهل مع الأولاد في تمكينهم سماع الأغاني والموسيقى، لا يجوز هذا، هذه من الفتنة التي قال الله عَزَّوَجَلَّ عنها: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾[التغابن: ١٥].

وأحيانًا قد ترغب الأم في الهدوء، والتخلُّص من إزعاجِهِ، فتعطي الولد الجوال وهو يدخل حسب ما يريد، هذا من الغشِّ، ومن سوء التربية، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يصلح أولادنا وأولادكم.

ليس الهدف والغرض أن تأتي المرأة بالأولاد، وفي الحقيقة هذا يعتبر سهلًا، الشديد الشديد أن نربي أولادنا تربية إسلامية، تربية صحيحة، هذا هو الشديد، وخاصة إذا كان هذا الولد طبيعته العناد، يكون الأمر أشق. نسأل الله أن يسخِّرَ ذريَّتنا للخير، وأن يجعلهم مباركين.

فهنا حفظكن الله «أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» يفيد أهمية صلاح الولد وأنه سعادة، وابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: إذا شعرت بقرب وفاتك فقدم لك ما يكون بعد وفاتك من كتاب أو عمل أو ولد صالح.

---

(٨)البخاري (٣٠٠٤)، ومسلم (٢٥٤٩) عن عَبْد اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الجِهَادِ، فَقَالَ: «أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ».

لأن الولد الصالح بعد أبويه لا ينساهما، يقدِّمُهما -في الدعاء- على نفسه وعلى أولاده، وعلى من يَعِزُّ عليه، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرحم آباءنا، ويغفر لهم، نسأل الله ألا يحرمنا أجرهم، ولا يفتنا بعدهم.

فهذا من ثمار الولد الصالح، وهذا نستفيد منه: الحث على تربية الأولاد تربية صالحة.

وروى ابن أبي عاصم في «السنة»(٧٨١) عن أبي سلمى راعي رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «بخ بخ بخمس ما أثقلهن في الميزان لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، والولد الصالح يتوفى للمرء فيحتسبه»(٩).

هذه الكلمات العظيمات تثقِّلُ الميزان: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)، وهي من الباقيات الصالحات التي يقول عنها ربنا عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾ [مريم: ٧٦]. خير من ماذا؟ خير من زينة الحياة الدنيا وزخارفها ومتاعها، ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: أفضل عند ربك، فلنقدم لأنفسنا الخير والعمل الصالح؛ لأن هذا هو الذي نسعد به في عرصات القيامة، وهو الذي نسعد به قبل ذلك في قبورنا، العمل الصالح هو الذي يكون نجاة لنا من عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثم قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «والولد الصالح يتوفى للمرء فيحتسبه» هذا فيه حث الآباء على الاحتساب عند فقد ولدهم الصالح، إذا كتب الله عَزَّوَجَلَّ على الولد الوفاة قبل أبويه، وهو معروف بالصلاح؛ لأن في الحديث مقيد بالصلاح «والولد الصالح» معناه أنه توفِّيَ

---

(٩) الحديث في «الصحيح المسند» (١٢٢٩) لوالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد عُلِمَ صلاحُهُ، فيحتسبه، يحتسب أجره وثوابه من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أجر مصيبته، وثواب مصيبته يحتسبها عند الله فيصبر ويحتسب، هذا يثقل ميزانه، فعلينا بالحرص أخواتي في الله على تثقيل موازيننا، وأن نحذر من تخفيفها؛ فإن المعاصي تخفف الموازين ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٩].

وفقد الأحبة عظيم على النفوس، ولاسيما فقد الأولاد شيء شاق على النفوس؛ فلهذا النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يسلِّي على الأبوين بذكر الفضائل، وبالشفاعة، وأنه تُثَقَّلُ به الموازين، وبأنه سبب لدخول الجنة.

وقد كان رجل يأتي إلى النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، كان يحضر مجالس النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الصحابة كانوا حريصين على أن يتعلموا العلم؛ ليعبدوا الله على بصيرة، فلا سبيل إلى عبادة الله عَزَّوَجَلَّ على بصيرة إلا بالعلم النافع، وليزدادوا إيمانًا وإحسانًا، فكان ذلك الرجل يأتي إلى النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ومعه ابن له، فسأله النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: أتحب ابنك هذا؟ النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يعرف أنه يحب ابنه ولكن سأله: «أَتُحِبُّهُ؟»؛ لأنه يراه يصحبه ولا يفارقه، وهذا يدل على مزيد المحبة والشفقة.

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَحَبَّكَ اللهُ كَمَا أُحِبُّهُ» يعني: أنه يحب ولده محبة شديدة، ثم افتقده النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فسأل عنه، فقالوا: توفي ابنه، والابن فلذة الكبد-قطعة من الكبد-،

فلقيه النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقال له: «أَمَا تُحِبُّ أَلَّا تَأْتِيَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، إِلَّا وَجَدْتَهُ يَنْتَظِرُكَ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَهُ خَاصَّةً أَمْ لِكُلِّنَا؟ قَالَ: «بَلْ لِكُلِّكُمْ»(١٠).

يعني: أن الولد يشفع لأبويه في دخول الجنة، وأن صبر الأبوين واحتسابَهُمَا عند فقد الولد من أسباب دخول الجنة، الجنة التي يسعى لها المؤمن ليلًا ونهارًا، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلنا من الفائزين بالجنة.

فالمسابقة أخواتي في الله إلى الخير، والمسابقة إلى الجنة؛ لأن هذه الدار دار الدنيا دار فانية، فلا تغرنَّا الحياة الدنيا، ولا يلهينا ولا يشغلنا الأولاد؛ فإن ربنا عَزَّوَجَلَّ يقول في كتابه الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ ﴾[المنافقون: ٩].

و بعض النساء تؤخِّرُ الصلاة إلى أن يخرج الوقت كاملًا؛ بسبب انشغالها بالولد، بسبب انشغالها بالخدمة، وهذا لا يجوز ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣ ﴾[النساء: ١٠٣].

---

(١٠) رواه الإمام أحمد (٢٤/ ٣٦١) عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتُحِبُّهُ؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَحَبَّكَ اللهُ كَمَا أُحِبُّهُ، فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا فَعَلَ ابْنُ فُلَانٍ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِيهِ: «أَمَا تُحِبُّ أَنْ لَا تَأْتِيَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، إِلَّا وَجَدْتَهُ يَنْتَظِرُكَ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَهُ خَاصَّةً أَمْ لِكُلِّنَا؟ قَالَ: «بَلْ لِكُلِّكُمْ» وهو في «الصحيح المسند» (١٠٨١) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

وربما يشغلك الولد عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، عن قراءة القرآن، وفي الحقيقة هذا تفريط من الأمهات، وإلَّا لو كان هناك عزيمة ﴿ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾ [محمد]. لو كان هناك عزيمة من الأمهات ليسر الله عَزَّوَجَلَّ لها الطريق، وهيأ لها سبل الخير، وأعانها.

واحرصي على الطرق المعينة، ومن أهمِّها: ما علمنا النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أن نقول عقب الصلاة: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»(١١).

اطلبي المعونة من الله حتى لا يخذلك ولا يكلك إلى نفسك، اطلبي المعونة من الله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة: ٥].

وأذكر أن والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ دخل إلى ابنتِهِ فوجدَ بعض الانشغال منها بولَدِها، فتلا قولَه تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[المنافقون: ٩].

فقلت له: هذا في ذكر الله الواجب، فقال: والمستحب أيضًا.

يعني: الآية لا تخلو من إيماء في الحث على الذكر المستحب.

ولا يكن هذا الولد الذي هو في الحقيقة نعمة، لا يكن هذا الولد نقمة ومصيبة وفتنة عليك، فوالله لا ينفعك يوم القيامة إلَّا ما قدمت من أعمال صالحة، والكل سيفر عنك، كما

---

(١١) روى أبو داود (١٥٢٢) عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، أَنَّ رَسُولَ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ»، فَقَالَ: «أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» وهو في «الصحيح المسند» (١١٠٧) لوالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال ربنا عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]. كل مشغول في نفسه ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الانفطار: ١٩].

إذًا نعطي أولادنا حقوقهم، ونعطي أزواجنا حقوقهم، ونقوم بمسؤليتنا، ولا نضيع حق الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلقنا لنعبده ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. ما خلق الله عَزَّوَجَلَّ هذا الكون باطلًا، ولم يخلقه عبثًا، إنما خلقه لشأن عظيم وهو عبادة الله سُبحَانَهُ ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [ص: ٢٧].

فلتقر عينُك أختي في الله إن كان ولدك صالحًا؛ لأن هذا هو الذي تسعدين به إن شاء الله في الأولى والأخرى، فادعي لأولادك بالخير والهداية، وقدِّمي لنفسك عند الله سُبحَانَهُ قبل الندم وقبل الحسرة وقبل فوات الخير، فالحياة قليلة، ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [النساء: ٧٧]. ويقول سُبحَانَهُ: ﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [الضحى: ٤].

وهذه الدنيا ما هي شيء فلا تغرنا زخارفها، ولا تغرنا زينتها وبهجتها ومتاعها، ما هي شيء، يوم القيامة المؤمن يصبغ في الجنة صبغة واحدة، فيقال له: «يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا

قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ»(١٢).

نسي جميع المتاعب والمصائب، ودار الدنيا محشوة مليئة بالمنغِّصات، حتى وإن كان فيها ما فيها من النعم، لا بد من وجود منغصات، فهذا المؤمن يوم القيامة في الجنة يصبغ صبغة، أي: يغمس، فقط مجرد غمسة، فيقال له: هل مر بك بؤس قط؟ يعني: هل مر بك شدة في الدنيا وفي حياتك، فيقول: لا والله، ما مر بي بؤس قط. نسي جميع المتاعب.

أما الكافر التي كانت الدنيا جنته، فإنه يغمس في النار غمسة فقط، فيقال له: هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله، ما مر بي نعيم قط. أي: أبدًا.

نسي جميع النعم التي كان فيها؛ لأنها سعادة مؤقتة ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾[الحجر: ٣]. فينسى إذا غُمِس في النار جميع النعم وجميع ما كان يتمتع به في الدنيا من الصحة والولد والمال والترف والنساء.. ، دليل على أنه لا يؤثر الدنيا إلا خاسر، وربنا قد قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ ﴾[الأعلى].

(١٢) رواه مسلم (٢٨٠٧) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ».

يعني: القليل يا أخوات من يؤثر الآخرة ويلتزم بدينه، ويحافظ على دينه، والكثير تلهيه الدنيا وتشغله الدنيا، وكأنه خالدٌ مخلَّد فيها، فما هي إلا أيام قليلة، انظري بارك الله فيك كيف الذين كانوا يعيشون بيننا من أقربائنا ومن أحبابنا من أهلِنَا وقد صاروا في حفرة القبر؟! كأنهم ما عاشوا، فهكذا نحن على هذه الطريقة لا نخلد، إنما تغر الحياة الدنيا، وإنما هي الغفلة، فلا تكوني من الغافلين، احذري أن تكوني من الغافلين، استقيمي حفظك الله كما أمرك الله ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ ﴾ [هود: ١١٢].

فلا يشغلك الأولاد ولا تلهيك الدنيا، ولا تشغلك الجوالات؛ فإن الجوال فتنة، ومضيعة للأوقات إن لم يُستخدم بحذرٍ، ولا يشغلك شيء عن آخرتك، ربنا عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا ﴾ [البقرة: ٤٨].

وكوني قدوة حسنة لأولادِكِ في ألفاظك وكلامك، ولباسك، وأخلاقِكِ، واستثمار أوقاتِكِ، والقضاء على الفراغ.

وهذا داخل في التربية، فتربية الأولاد تكون:

بالتوجيه، والدعاء، وبالفعل قبل القول.

تحصينهم بالأذكار. ولا ترتاح المرأة الصالحة إلا إذا رَقَتْهم بالرُّقَى الشرعيَّة، وجعلتهم في حفظ الله وأمانه.

تأمر القادر بقراءة الذكر عند الخروج، وتُحَفِّظه. وما هي إلا أيام ويقولها، ويذكِّر بها من حوله.

وهذا ليس خيالًا بل حقيقة، إنها بركة من الله يضعها حيث يشاء، ويكرم ويختص بها من يشاء.

اللهم اجعلنا ممن أكرمتهم وخصصتهم بذلك.

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين، والحمد لله رب العالمين.

تم نشر هذه الكلمة ولله الحمد والمنة.

يوم الجمعة الموافق ٢٩ / من شهر شوال / لعام ١٤٤٤ للهجرة النبوية

على صاحبها الصلاة والسلام.